



إذا أردت إن تعرف ماهية مجلس الشعب السوري المرتقب قدومه لا بد أن تعرف فكر أعضائه المرشحين لتولي هذه المهمة وخصوصاً معرك الحياة النيابية تحت القبة البرلمانية. تلك القبة التي كانت ترتفع بسالف الزمن عندما كان الشرفاء أمثال الشيخ عبد الرءوف أبو طوق وغيره يجلجون ويصدحون بالحق تحتها لا يخشون في الله لوم لائم، وضعوا الحياة الدنيا في أواخر حساباتهم، والوطن كان لهم الهدف الأسمى.

شخص أعرفه قُبِّل ترشيحه للمجلس وهو ينوي أن يخوض المعركة الانتخابية على أساس أن الصندوق بالانتخابات البرلمانية السورية هو الفيصل حسب نزاهة الانتخابات البرلمانية السورية التي نعيشها منذ أربعة عقود ونيف، وأن الأسماء لا تأتي من أقبية الأجهزة الأمنية المختصة. في ظل ما نعيشه سورية الإباء من حراك شعبي، وفي ظل تلك المؤامرة الكونية التي كادت تتلاشى من استقرار وأمن سوريا، وفي ظل كم الإصلاح الهائل الذي أنعم علينا به القائد الخالد المُخلد الحكيم الفذ الممانع المقاوم؛ لا بد لأن يخوض المعركة الانتخابية رجالات أكفاء لهم فكر فذ وهدف واضح وبرنامج غني يواكب كم الإصلاح الأصلي الذي دمر حمص وغيرها من أجل إعادةعمارها بالطبع.

ومن هنا أحبيب أن أطلع على فكر صديقي الذي استهان بالأمس من تربيتي وعدم تدبير أمري كي أقرأ ما يخفي بين حنایا سطور برنامجه الانتخابي ومصلحة سوريا والسوريين بفكره السياسي، فكانت هي الصاعقة الكبرى.

صديقنا تذكر منذ أيام ليست بالبعيدة ذكرى رحيل الباسل! ومن هو الباسل؟ مواطن سوري ليس إلا يحتسي الملة ويأكل الفتة؛ لا هونبي ولا صالح ولا ولد يذكره بعد أن أفنى الله كما أفنى الله جميع الموتى.. مازال صديقنا يذكره بحرقه، ويقول عن الباسل بجرأة: (رحيل الباسل - رحمة الله - يوم لا يغيب عن الذكرة). صاعقة في أطراف دمشق دوت... عند بزوغ الفجر والأشجار بالندى بكت... من بين الضباب تسحب شبح الموت متخفياً... يحمل الألم لشعب أحب بصدق وهوياً... سمع الخبر الحزين.. رجفت منه القلوب.. جفت له العروق.. تلعمت به الشفاه.. يا ليته ما صدق... وسطع فوق قاسيون شفق... روح حائمة تودعنا.. وردية... وأشارقت الشمس لكن.. رمادية... لا تميز الوجوه.. الجمع حزين... شاخ الشباب.. توقف الزمن... صمت رهيب.. سوريا بكت... صديق خسرت.. حبيب ذهب... وحط الحزن في النفوس.. كأنه يوم الغضب... لحظات وحدة.. كأنها دهر... وارتفع بالمازن خبر القهر... وبين اللحظة والخبر... تهادت نظرات الأمل... وأطل الوجه الصبور.. لأب يعزينا... لوح بيديه رغم الألم.. يحضرنا... أو ما برأسه الشامخ.. يواسينا... جبل صاعد أبداً... (رحم الله القائد الخالد).. وأدام الرئيس بشار لسوريا... خبر قهر دهر، مات أمل عاش أمل وجبل يطل.

إن كان هذا فكر نواب مجلس الأمة القاسم؛ (باسل بذاكرتهم يعيش، وأطفالنا بطرق المدن جث هامدة لم تدفن بعد)، قائد خالد لأمة ميتة ووريث شرعي لأحرار لن يركعوا؛ إن كان باسلكم حي بذاكرتكم شهداؤنا لا يجد ذويهم لهم أكفان يكتفون بها فيها.

إذ كان هكذا حال أعضاء البرلمان القاسم؛ رباء وتصفيق ورقص وزمر وطبل قبيل اعتلائهم سدة المقعد النبأ؛ فكيف هم عندما يتلقون الخالد المخلد الشامخ في أول جلسة من جلساتهم البرلمانية.

يا من رضيتم ببع نفسكم بثمن بخس وأبیتم إلا الذل والهوان.. فلتسمعوا إن لم نحاسبكم نحن فستحاسبكم دماء شهدائنا الأطهر من دم باسل، مات مخمور وصار شهيد أهل القبور. ستحاسبكم دموع نساء ثكلت خلدت بصفحات التاريخ دموعها، فمن يخلده تاريخنا خير ممن تلعنهم صدورنا. ستحاسبكم بكلارة فتيات اغتصبت: بكارتها أطهر من شهيد قتلته النزوات.

يروي الإمام علي - رضي الله عنه - : "وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَيْنٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوْضًا. وَلَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا. وَمَا خَيْرٌ خَيْرٌ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٌ لَا يُنَالُ إِلَّا بُعْسِرٍ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَالْحِرْفَةُ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ".

المصادر: